**مقياس القصّة القصيرة المعاصرة**

**المحاضرة الأولى**

**تمهيد:**

يعدّ السرد القصصي، في مختلف العصور، من أقدمها وأفضلها، وأكثرها ألواناً الأدبية وارتباطاً بالتفاعلات الاجتماعية، والنفسية والاقتصادية والتاريخية المختلفة، وغيرها. وقد أصبح ضرورة ملحة، تفرضها الظروف، والمواقف، والأحداث، التّي غالباً، ما يتلاءم فيها المعمار الفني بالحياة نفسها، فيتلون بأطيافها المختلفة.

1. **أصول القصّة القصيرة:**

القّصة القصيرة لون أدبي حديث نوعا ما، وهي من الأجناس الأدبية، التّي تخضع للتغيير والتطوير والاستمرار.

وقد يرى الباحثون(1)، بأنّ جذورها، تمتدّ إلى تراثنا القصصي القديم، وبالخصوص إلى عصر المقامة، وحكايات أيام العرب، لتشابههما من حيث الشّكل، ولتقاربهما، في بعض الخصائص والملامح والتقنيات الفنية والجمالية.

وقد ورث العرب تراثا أسطوريا خرافيا، فرضته حياة الصحراء الزاخرة، بأشكال التّعبير، التي تلائم الطبيعة القاسية المحدودة، في بداية الأمر.

مما دفع الكثيرون، إلى القول إنّ نظرية انحدار القصص القصيرة، من أصلاب التراث العربي القديم، ولعلّ من بينه المقامات العربية، وقصص النوادر، وحكايات أيام العرب والبخلاء.

وقد عدَّ "شكري محمد عياد"، الخبر عند "الجاحظ"، وما يطبعه من حوار الغني بالتفاصيل صورةً، وربّما بشيء من التسامح، قصة قصيرة، وبعد "الجاحظ"، بنحو قرن من الزمان، "تكون الكتابة الفنية، قد استقلت عن التأليف الأدبي، ويظهر لون، من هذه الكتابة، يمكننا بغير حرج، أن نسميه قصة قصيرة، هذا اللون هو المقامة، التي أصلها "بديع الزمان الهمداني"، ثم جاء الحريري بعده، بنحو قرن آخر، فنسج على منواله، و إن لم يُبدع إبداعه."(2)

ونجد في الاتجاه نفسه، "عباس خضر"، الذي وقف عند هذا اللون القصصي، وهو المقامة، فشبهه بالقصة القصيرة، لأنه - فيما يرى- كان له "شأن مهمّ، في محاولة تطوير القصّة العربية والعبور بها، إلى القصّة الحديثة"(3). ويضيف "يوسف الشاروني"، في المضمون نفسه، مكتشفا، بأن معظم قصص مجموعة "بوكاشيو"، من مصادر عربي، استلهمها الأديب، وألف على منوالها، بعد أن أخضع تجربته الجديدة للأسلوب الأوروبي، والإيطالي".(4)

وعلى الرغم مما تحمله هذه الأفكار، من اعتزاز، وتنويه بتراثنا القصصي العربي الأصيل. فإنّها تنطلق، من مجموعة من المسلمات، التي تحتاج إلى كثير من التأمل، والتمحيص الدقة، في تحديد المصطلح العلمي، للجنس الأدبي، الذي يتميز بخاصية ينفرد بها، عن بقية الأجناس الأدبية الأخرى.

وإذ لا ننكر إطلاقا، اختلاف خصائصهما الأسلوبية، على الرغم، من كونهما نتاج مجالس وأندية ترفيهية. كما أنّه لا يمكننا، أن نتجاهل أيضا، مدى التأثير والتأثر، بين مختلف الآداب العالمية، على الرغم من اختلاف الألسنة، وأساليب الواقع والحياة عامّة. فلشدة اعتناء الأدباء والنقاد بها، إبداعاً ونقداً، اكتسب هذا النمط الادبي شهرة واسعة النطاق، لقدرته على طرح أعقد الرؤى، وأخصب القضايا، بفضل التركيز والتكثيف، في استخدام الدلالات اللغوية، المناسبة لطبيعة القصّ، وحركية السّرد، ومستويات الحوار، ومظاهر الحقيقة والخيال، بالإضافة إلى التقنيات الفنية المتميزة، والمعطيات الجمالية المحكمة.

1. **أعلامها:**
2. **جيوفاني بوكاشيو: Giovanni Boccaccio(1313-1375)**

يجمع معظم الدارسين، والباحثين، والنقاد، على أن بوادر القصة القصيرة، ظهرت في إيطاليا، في القرون الوسطى، أي في القرن الرابع عشر للميلاد، على يد "جيوفاني بوكاشيو" (1313-1375).

الذي وضع الإرهاصات الأولى، لهذا الفن القصصي، بتأليفه "الديكاميرون"(5)، أو "المائة قصة قصيرة"، التي أبدعها، في سنة 1350، إذ استطاعت هذه المحاولات، إمتاع جمهور من القراء، فضلا عن تأثيرها، على رعيل من الكتاب، الذين حذوا حذوه(6). من المبدعين، الذين تناولوا بومض اللحظة المناسبة، من الحياة، في عاديتها، ورتابتها، وصخبها، وتناقضاتها، وجزئياتها التفصيلية الجوهرية الدقيقة.

ولكي يحقق "بوكاشيو" هذه المتعة، كان يختار واقعة مثيرة، في حياة فرد، أو خبرا يُفصله ويصنع منه قصة، أشخاصها من الأفراد العاديين. تنتهي إلى خاتمة مرسومة، كالفراق، أو الموت، أو الزواج(7).

ولعل الشيء الجديد عنده، هو المنهج، الذي يثري به اللغة المحلية، وذلك "عن طريق معالجة بلاغية ماهرة، وبدون أن يفقد روح الأسلوب، وسرعة الإيقاع، الذي يتميز بهما السرد الشفوي.

وقد استطاع بذلك، إثراء لغته، أكثر مما وصل إليه، من قلبه، في العصور الوسطى"(8). أما أحداث قصص، فقد كانت بسيطة، عادية جدا، يختار شخصياتها، من الأفراد العاديين، -كما ذكرنا- إذ كان يصبو من خلالها، إلى تحقيق عناصر الإمتاع والتسلية.

وهي صفات، تندرج ضمن صفات القصة القصيرة الفنية، المتعارف عليها، والمتميزة بقدرتها الفائقة، على تقطير التجربة الإنسانية، وتجسيد جوهر النفس البشرية، والتعبير عن مطامحها، و أحزانها ببساطة ويسر. إذ تتخطى في مبناها ودلالاتها، كثيرا من النصوص القصصية القصيرة.

1. **إدجار آلان بو: Edgar Allan Poe (1809(1849-**

وبعد فترة زمنية ليست بالقصيرة، ظهر "إدجار آلان بو" الأمريكي (1809-1849) الذي عرف بخياله، الذي يأخذ أشكالا غريبة، غير مألوفة. فقد تأثر بفن "النمط القوطي(9)".

كما أنه كان يجنح نحو التيار الرومانسي، الذي يقوم على الشخص المحسوس، بخلاف التيار الكلاسيكي، الذي يعتمد على حكمة العقل المجردة. مما جعله يميل إلى الخيال، والأفكار التجريدية والنفسية، أكثر من ميله إلى الأفكار الواقعية والعقلية.

أُعجب بأفكار "كوليردج" و "شلنج"**،** التي تدعو غلى تحطيم العالم المادي اليومي، وإحلال محله عالما، يعتمد أساسا على استجلاء فضاء، يندرج ضمن التجنيحات الرومانسية الخيالية.

لقد استمد "بو" قوة التأثير في القارئ، من خلال الخبرة و التجربة، التي اكتسبها، في ميدان النمط القصصي القصير، وإذا دققنا النظر، في الشيء الذي فعله "بو"، فإننا نجده، جعل هذا الفن القصصي الجديد، أداة لأدب متكامل، مستقل بذاته، بتحقيق هدفه، عندما قام "بتطبيق نظريته، عن الجمال على أداة تعبيره الأدبية.

لقد وجد "بو" في القصة القصيرة، المجال الذي يتحقق فيه التناسق، ووحدة الفن. ففيها يمكن لكل كلمة، وكل سطرن وكل فقرة، أن يكون لها، أثرها في عقل القارئ(10).

فقد أدخل "بو" نظريات كتاب الشعر "لأرسطو"، إلى القصة القصيرة، عندما اعتبر عناصرها ثانوية، تتماهى داخل مسار الحركة الكلية للنص، إذ تصبح وحدة تكاملية، متجانسة، تسعى إلى خلق تأثير واحد، بتوجيه كل العناصر نحو الهدف المطلوب(11). وهو الشيء الذي يهدف إليه، الفن القصصي الواعي.

مما ساعد "بو"، على ضبط القواعد النظرية، التي تحدد الوحدات الثلاثة، المقومات الأساسية للقصة القصيرة، وهي:

**- وحدة الدافع** = الدقة المقصودة **(تجربة)**

**- وحدة التأليف** = التكامل الشكلي **(بنية)**

**- وحدة الأثر**= وحدة الانطباع **(نتيجة)**

لقد اعتبر "بو" هذه الوحدات الهامة، والضرورية، أساس نجاح أيعمل إبداعي، في تحقيق أغراضه الفنية والجمالية.

على خلاف من رأي "أيان رايد"، الذي وجد كثيرا من القصص، ذات المستوى الرفيع، لا تخضع للنظريات، و المعايير الثابتة، فهي على الرغم من كونها، لم يخطط لها المؤلف بقصد، ولا تعطي انطباعا واحدا، فقد يتركز تأثيرها الموحد الكلي، عن طريق نماذج الأساليب، والأبنية المتنوعة، التي تكسبها قدرا كبيرا، من الجمال الفني، مما يعني أن وحدة الانطباع غير محدودة، كما ان مفهوم وحدة التكامل، في العمل "لا يتمشى دائما مع الإيجاز كما يريد "إدجار آلان بو"(12). وإن كان هذا اللون من الفن، يعتمد بشكل أساسي، على الإيجاز، والتكثيف، والتركيز، في معظم الأحيان.